

## تمظهرات " الأنا " و "الأخر" في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

## قراءة في نماذج مختارة

the representations of the "I" and the "other" in the Algerian novel written in French, "chosen models" .

د. محمد الأمين بركات  
Mohamed Amine Barkat  
جامعة محمد خيضر بسكرة  
mohamed.barkat@univ-biskra.dz

د.زين خديجة  
zine khadidja  
جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي  
zine-khadidja@univ-eloued.dz

تاريخ القبول: 2022-05-20

تاريخ الاستلام: 2022-05-12

ملخص:

تُعَبِّرُ قِصَّةُ "الأنا" و "الأخر" وما تثيره العلاقة القائمة بينهما من إشكاليات، من أهم المواضيع التي تطرقت إليها النصوص الروائية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية التي اتخذت من الثورة التحريرية مرجعًا تاريخيًا أساسيًا يُوَظِّرُ حدود هذه العلاقة ويرسم معالمها، كما تعتبر صورة "الأنا" و "الأخر" أيضا من أهم مباحث علم الصورة المقارن، هذا المجال المعرفي الذي يُعنى بدراسة صورة الشعوب من خلال الغوص في خبايا النصوص الأدبية والشعرية لمعرفة عاداتهم وتقاليدهم، ومعرفة كيف ينظر شعب الى شعب آخر، كما يشكل حضور "الأخر" في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية تيمة رئيسية وإشكالية كان لزاما على الكتاب معالجتها نظرا للظروف والعوامل التي رافقت الوجود الكولونيالي "للآخر" الفرنسي في المجتمع الجزائري كتجويد الشعب الجزائري (الأنا) من أجل القضاء على هويته، مما شكّل عند الكتاب الروائيين وعيا حاولوا من خلاله نقل الصورة الحقيقية "للآخر" الفرنسي المستعمر للمطالبة بقطع العلاقات معه، ومع دخول متغيرات جديدة على المجتمع الجزائري تمثلت في الثورة والصدام مع "الأخر"، وجد الكتاب أنفسهم في حيرة أدت إلى تشكيل أزمة هوية لديهم جعلتهم مجبرين للانحياز لمبدأ الثورة بحكم الانتماء القومي من أجل الخروج من دائرة المعاناة المستمرة وتحقيق الهم في الاستقلال والحفاظ على هويتهم الوطنية الجزائرية. كلمات مفتاحية: الأنا، الآخر، الهوية، الثورة، الرواية الجزائرية، الصورة الفرنسية.

**Abstract:**

*The issue of the "I" and the "other", and the problematics derived from the relation between them is considered one of the most important topics that the Algerian novel texts written in French has treated, which took the Liberation revolution as a fundamental historical reference, that frames the limitations of this relation and*

*defines its features. the portrait of the "I" and the "other" is also viewed as a paramount research in the comparative ecology of the image, this area of knowledge that aims to study the image of the people by diving into the secrets of the literary and poetic texts in order to know their habits and traditions, and to know how peoples around the world view each other. The presence of the "other" in the Algerian novel written in French forms an essential theme and an important problematic that the writers had to work on due to the circumstances and factors that come hand in hand with the colonial existence of the French "other" in the Algerian society like the deliberate starvation of the Algerian people (I) to eliminate its identity.*

*Keywords: the ego, the other, the identity, the revolution, the Algerian novel, the French image.*

## 1- مقدمة:

يشكل حضور "الأخر" في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية تيمة رئيسية وإشكالية كان لزاما على الكتاب معالجتها نظرا للظروف والعوامل التي رافقت الوجود الكولونيالي "للآخر" الفرنسي في المجتمع الجزائري كتجويج الشعب الجزائري (الأنا) من أجل القضاء على هويته، مما شكّل عند الكتاب الروائيين وعيا حاولوا من خلاله نقل الصورة الحقيقية "للآخر" الفرنسي المستعمر للمطالعة بقطع العلاقات معه، ومع دخول متغيرات جديدة على المجتمع الجزائري تمثلت في الثورة والصدام مع "الأخر"، وجد الكتاب أنفسهم في حيرة أدت إلى تشكيل أزمة هوية لديهم جعلتهم مجبرين للانحياز لمبدأ الثورة بحكم الانتماء القومي من أجل الخروج من دائرة المعاناة المستمرة وتحقيق آمالهم في الاستقلال والحفاظ على هويتهم الوطنية الجزائرية. ومنه طرح الإشكاليات الآتية:

1\_ كيف تجلّت صورة "الأنا" و"الأخر" الفرنسي في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية وما علاقتها بالظاهرة الكولونيالية؟ وكيف تميّزت العلاقة بينهما (الأنا والأخر)؟ وهل الصدام والصراع مع الآخر شكّل للذات الجزائرية أزمة هوية؟.

2\_ كيف تمظهرت صورة "الأنا" الجزائري و"الأخر" الفرنسي في الخطاب الروائي المكتوب بالفرنسية؟.

3- كيف عكست لنا الأعمال الروائية المكتوبة بالفرنسية صورة "الأنا" الجزائري و"الأخر" الفرنسي في إطار الثورة التحريرية؟.

4- كيف شكّل الصراع مع "الأخر" الفرنسي أزمة بالنسبة للذات الجزائرية؟.

5\_ كيف تجلّت نظرة الأنا للآخر والآخر للأنا في رواية "الانطباع الأخير"؟.

6- ما علاقة مسألة الهوية والانتماء لتأسيس موقف وعلاقة "الأنا" الجزائري "بالآخر" الفرنسي؟

**1\_ علاقة "الأنا بالآخر" والمرجعية التاريخية للثورة:** ينفرد الأدب الجزائري الحديث بين مختلف آداب الشعوب العربيّة بمجموعة من الخصائص قلّما تجتمع في أدب واحد على مجرى التاريخ، وفي مقدمة هذه السمات التي يتصف بها الأدب الجزائري، ذلك التشابك المعقّد بين تيارات ثلاثة جلبتها الظروف التاريخية وهي التيارات البربرية والعربيّة والفرنسيّة، ورغم أنّ الزمن تدفّق مجراه الذي لا ينقطع، لم يفصل بين ثقافة وأخرى بحاجز لا سبيل إلى اختراقه، وإنّما التقت التيارات الثلاث: لقاء الصراع والتفاعل والاندماج، وأثمرت في النهاية أدباً جزائرياً قبل أي شيء، قبل أن يكون فرنسياً وإن نطق بالفرنسية، وقبل أن يكون عربياً أو بربرياً وإن نسج أحداثه وأشخاص من حياة العرب والبربر وإنّما توحدت عناصر اللّغة والفكر والبيئة والتاريخ والإنسان في صورة شديدة التعقيد والثراء، وهي صورة الأدب الجزائري المعاصر الذي تتحدّد منابعه وأصوله وجذوره» ولكنّها تعود وتلتقي ضمن تيار أشمل من كل التيارات المجتمعة هو تيار الثورة الجزائرية العارم، فهذه الثورة هي البؤنقة التي انصهرت خلالها الروح وتظهر في أوتونها الوجدان وتبلور بدمائها الفكر وأقبلت الرواية الجزائرية غداة الحرب العالمية الثانية تحمل في تضاعيفها هذا التاريخ المليء بالصراع وتشارك أيضاً في ترجيح كافة الإنسان الجزائري وإن نطق بين صفحاتها بلغة الأعداء»<sup>1</sup>

ولعلّ هذا ما جعل من الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية تتخذ من الثورة الجزائرية كمرجعية حتمية تنطلق منها لبناء متنها السردية خاصة في السنوات اللاحقة التي أعقبت الحرب، إذ لم يعد هناك مجال لمثل تلك الكتابات المدهنة للمحتل التي كانت تحاول استرضاء السلطات الاستعمارية والتقرب من المستوطنين والعزف على نغمة «الأخوة والمساواة بين الجميع»<sup>2</sup> هذا ما جعل من الكتاب الجزائريون أمثال: (محمد ديب - مولود فرعون، كاتب ياسين ... إلخ)، يتخذون موضوع الثورة في رواياتهم كدليل للتعبير عن وعي الذات، ومن جهة أخرى لتأكيد أنّ الثورة هي نتيجة تأزم العلاقة بين "الأنا" الجزائري المستغلّ و"الآخر" الفرنسي المستغلّ لتلك "الأنا" من خلال فرضه لإجراءات مست الهوية الوطنية هذا ما عجل بظهور كتابات روائية جزائرية تطالب بحق المواطن البسيط في الحرية، وأياً كان الأمر فقد ظلت الثورة مرجعاً رئيسياً يُؤطر علاقة الأنا الجزائري بالآخر الفرنسي، فكيف ذلك؟

**المرحلة 1:** قيام الذات وتمثلها في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية: إنّ قيام أي ثورة في العالم هورّد فعل طبيعي، وتمرّد مشروع على الوضع السائد على أشكال الهيمنة والاستعباد والاستقلال

زين خديجة-محمد الأمين بركات: تمظهرات " الأنا " و"الأخر" في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية قراءة في نماذج مختارة

والقهر الممارس من قبل المستعمر والثورة الجزائرية كغيرها من الثورات كانت ردّ فعل على الاحتلال الفرنسي للجزائر ونقله نوعيّة كانت لها انعكاساتها على الكتابات الروائية الجزائرية من حيث المواضيع المتناولة، إذ أصبحت الثورة موضوعها وشغلها الشاغل.

ونذكر في هذا السياق، الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسيّة، وخاصة في مجال الرواية التي عرفت تطوراً كبيراً في تناولها لموضوع المجتمع الجزائري قبل الثورة وبعدها فقد عايشته بكل أفراحه و أفراحه، فكانت الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، إذأ صورة صادقة نقلت لنا معاناة الشعب الجزائري رغم بعض الأفكار الإدماجية التي عاشتها هذه الرواية قبل مجازر 08 ماي 1945 عند بعض الروائيين الذين يكتبون باللغة الفرنسية. فبعد هذه الأزمة التي عاشها الجزائريون، تغيّرت استراتيجية الكتابة من وسيلة تقارب وتفاهم (الإدماج) إلى وسيلة للكفاح لإعادة القيمة للذات المنكسرة المهزومة والمهمشة، إمّا كتابة هدفها تحويل المركز إلى هامش والهامش إلى مركز، ولعلّ من الروايات الأولى التي تجلّى فيها هذا الوعي الذي أراد إحداث القطيعة مع الآخر نذكر روايتا: " لبيك" لمالك بن نبي و"ادريس" لعلي حمّامي، « وكلا الكاتبين كانا بعيدين عن الفكر الاندماجي»<sup>3</sup>، فالأول عالِم موضوع الخمرة كإشكالية ترفض ما حملته الثقافة الفرنسية للشعب الجزائري لذلك نجد المؤلف يعطي الحلّ لبطله بالرجوع إلى العقيدة والدين، أمّا الرواية الثانية، فكانت السباق في طرح موضوع الكفاح المسلح كسبيل وحيد للتحرّر من الاستعمار.

ولعلّ من بين أهم الروايات التي شكّلت منعطفاً حاسماً في تاريخ الرواية الجزائريّة والتي تجاوزت الصورة النمطية لعلاقة الإدارة الاستعمارية بالأهالي لتغوص في واقع الشعب الذي كابد القهر لسنوات طويلة هي ثلاثية " محمّد ديب " الذي حاول من خلالها «أن يرسم لوحة ضخمة للجزائر عشية الحرب العالمية الثانية فمن خلال " عيني " والفتى "عمر" الذي يعطي النموذج والوحدة للثلاثية بمغامراته يعرف القارئ العناء المادي والنفسي الذي عاشه الجزائريون، كما يعرف سبب القلق الذي أشعل نار الثورة في الجزائر بعد قليل»<sup>4</sup>.

في بداية الجزء الأوّل من الثلاثية " الدار الكبيرة " la grande maison " الصادرة سنة 1952، والتي يستهلها الكاتب بجملة « هات قليلا مما تأكل»<sup>5</sup> ليصوّر لنا المعاناة التي لحقت بالجزائريين من فقرٍ وجوع، ليكشف لنا عن الوجه الحقيقي للمستعمر الفرنسي (الأخر) لفئة جديدة تسمى بالمناضلين الذين يعيشون بين أفراد الطبقات الدنيا من الشعب وينشطون ضد الاستعمار في الخفاء (الأنا) فموضوع الجوع الغالب على الجزء الأوّل من الثلاثية دليل على أنّ الكاتب رافض لهذا

الواقع الذي يكبل حرية الإنسان ويعيدها ويجعل الجزائريين يتحولون إلى كائنات من دون طموح، حلمهم وهدفهم الوحيد هو الخبز وكيفية الحصول عليه فقط.

أما الجزء الثاني من الثلاثية " الحريق "l'incendie" « فهي عبارة عن إرهابات للثورة الجزائرية، فالكاتب من خلال روايته هذه أعد أنه مناهض للتواجد الاستعماري»<sup>6</sup> حيث يعري الوضع العام للفلاحين وهم يقدمون خيرات أراضيهم للأخر المستعمر كما يصف حالة فقرهم الذي تبنيه أكوأخهم.

بينما نجد " محمد ديب " في الجزء الثالث من الثلاثية " النول le métier atissu " قد برع« في تصوير بؤس العمال (الأنا)، هذا البؤس الذي ارتبط بمحاولات المستعمر (الأخر) سياسته التعسفية للقضاء على شخصية الجزائريين من خلال سياسة التجويع والقهر الدائمين»<sup>7</sup>.

وعليه جاءت ثلاثية " محمد ديب " كرد فعل على مجازر 08 ماي 1945 من جهة ومن جهة أخرى لتبين لنا الوعي الكبير الذي أصبح لدى " الأنا " الجزائري الرافض لهذا الواقع و"للآخر" المستعمر معاً، فهذه الثلاثية تجاهر بقرب الانفجار الشعبي فالقدرة على الرؤية المستقبلية لدى " محمد ديب " تتجلى في العديد من العبارات داخل المتن السردي وأبرز مثال : قول " حمزة "، الذي يُعتبر من شخصيات رواية " النول " :« لقد وصلنا إلى الدرك الأسفل فلن تجدنا الطرق العادية من أجل نعود فنصبح بشرا، لا بد لنا في سبيل ذلك من أن نقلب العالم رأسا على عقب، وربما كان علينا أن تروعه (... ) إن هناك قدرا يحتم علينا، فإذا أردنا أن نفلت منه، وجب علينا أن نحطم كل شيء (... ) علينا أن نبدل العالم والإنسان (... ) نعم (... ) ولكن لا بدّ أولا من هدم كل شيء»<sup>8</sup>.

لقد كانت بعض المجموعات تفكر في أنّ الحلّ يكمن في حمل السلاح أو في الثورة والتمرد عن الوجود، هذا ما نراه في حوارية " عكاشة " و" عمر"، فالأول الذي كان يمثل حزب الشعب، والثاني كان يمثل الاتجاه الثوري اليساري حيث يقول عكاشة :

« ليت لجميع الناس سلاحا حقيقيا.

قال عمر وقد تقلص حلقه قليلا: لم السلاح؟

فأجابته الحائك بقوله: إنها اللذة دائما أن يملك المرؤ سلاحا حقيقيا (... ) يخطر ببالي أحيانا أن يكفي أن يملك جميع الناس سلاحا «<sup>9</sup>

زين خديجة-محمد الأمين بركات: تمظهرات " الأنا " و"الأخر" في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية قراءة في نماذج مختارة

وبالإضافة إلى " محمّد ديب " تجلّى الصراع بين " الأنا " الجزائري و " الأخر " الفرنسي في النصوص الروائية المكتوبة بالفرنسية في روايات أخرى مثل :رواية " ابن الفقير " le fils du " " " pauvre " الصادرة سنة 1953 "مولود فرعون "، التي يصف فيها الظروف التي مهدت لثورة التحري، إنّه الصراع من أجل إيجاد لغة عربيّة وثقافة عربية بعيداً عن الهوية والثقافة الفرنسيّة التي جعلت الجزائريون يعيشون حالة اغتراب وأزمة هويّة وقد جسّدت ذلك شخصية " فورولو " fouroulou، الذي كان يشعر بأنّه غريب في الثانوية الفرنسية ويخشى الطرد.

تعدّ رواية " ابن الفقير " سيرة ذاتية تصف طفولة الكاتب، أمّا رواية " الأرض والدم " la terre et le sang " الصادرة سنة 1975 ، فتقع أحداثها ما بين الحربين العالميتين وتنتهي عام 1930 ، يعاني فيها البطل " عامر " معاناة شديدة بسبب هجرته إلى فرنسا طلباً للعمل ليعود إلى قريته الصغيرة فلا هو تمكّن من التأقلم في القرية لا تمكّن من الحياة في قريته من جديد إلا بصعوبة كبيرة، ويعدّ "مولود فرعون" نموذجاً لجيله، جمع في ذاته عالمين وثقافتين وصورّ المشكلات والمتناقضات التي زحرت بها مرحلة الوعي الوطني للجزائريين في تلك المرحلة المرتبطة بالكفاح من أجل الاستقلال.

ومن الروائيين الجزائريين الذين أرادوا زرع الثقة والوعي في نفوس الجزائريين، "مولود معمري" الذي نشر روايته " الربوة المنسية " la couline oublié " " التي تجسّد وقائعها فترة ما قبل الحرب العالمية الثانية، فتصوّر الوضع الذي كان يعيشه " الأنا " الجزائري في ظلّ الاستعمار الفرنسي، كما أنّها تعبّر عن مآسي الشعب وأحزانه وبؤسه، إنّها فترة اليأس والقنوط دون إمكانية العثور على حلّ، لأنّ الاستعمار لا يقدم حلولاً. وأياً كان الأمر فإنّ بوادر الأمل بدأت تلوح، كنتيجة للتغيّرات التي طرأت على الوضع السياسي في الجزائر.

أمّا روايته الثانية " نوم العادل " la sommeil de juste " " الصادرة سنة 1955 التي تنقل لنا حالة البؤس والحرمان، التي عاشها " الأنا " الجزائري من خلال وصف الحالة المزرية التي عاشها القرى والمداشر القبائلية، وغير بعيد عن ذلك تعتبر رواية "نجمة" Nejman " " لكاتب ياسين " الصادرة سنة 1956، من الروايات التي كشف فيها مؤلفها عن مظاهر الاستغلال والظلم التي مارسها " الأخر " الفرنسي (المعمرون) على أبناء الأرض، وصورّ فيها مجازر 08 ماي 1945، التي قمع فيها " الأخر " المستعمر بوحشية المتظاهرين من أجل الحرّية والعدالة، " فنجمة " كان يقصد بها الجزائر « مشخصاً إياها في امرأة يسميها نجمة وتصبح الجزائر حقيقة مجسدة وتكون بذلك " نجمة " روح البلاد التي تسري، إنّ " نجمة " بطلة الرواية الهاربة تمثل الجزائر الجديدة نفسها»<sup>10</sup>.

وبناءً على ما تقدّم يمكننا القول إنّ مثل هذه الكتابة تتوقف عند أعتاب النبوءة بما سيكون، إذ رسمت هذه الروايات الصورة التي آلت إليها الجزائر في فترة قبل الثورة، لتوضّح لنا الأحداث التي ساهمت في اندلاع الثورة التحريرية، بالإضافة إلى ذلك نلاحظ الوعي الكبير الذي كان عند هؤلاء الكتّاب الجزائريين من خلال إلمامهم بكل صغيرة وكبيرة فيما يخص معاناة " الأنا " الجزائري، وفي ذلك تأكيد على رفض " الأنا " الجزائري " الآخر " الفرنسي المستعمر.

**المرحلة 2: الثورة والعلاقة مع "الأخر"** : ظلّت صورة الثورة تمثّل هاجسا يؤرّق الأدباء الجزائريين، فالمتتبع للمتن الروائي الجزائري المكتوب بالفرنسية، يرى حضوراً للثورة باعتبارها نقطة تحوّل في سيرورة التجربة الروائية، ووعاءً يحوي القضية الجزائرية بكلّ أبعادها، « أي أنّ في التعامل مع الثورة، لم يكن هناك استغلال إبداعي للثورة بإعادة إنتاج أحداث ومواقف وبطولات تستمد مرجعيتها من التاريخ الثوري، باعتبار أنّ الرواية عمل تخيلي يوهم بالواقع ولا يعكسه، وإن كان يتجاوزه ويتمثل التجاوز على مستوى الصياغة وبناء الشخصية ورسم الحدث وإقامة علاقات قائمة أساساً على عمليات تعيين القيم التي ينطلق منها السارد»<sup>11</sup>، وبهذا فإنّ الرواية هي صورة متخيّلة قبل أن تكون واقعية تستمد طبيعتها من الواقع، ذلك أن الخيال في هذا المجال يسبق الواقع.

لقد شكلت الرواية الجزائرية الناطقة باللّسان الفرنسي طفرة نوعية في المضامين خاصة أثناء الثورة وبعدها، فقد أخذت على عاتقها تصوير كل أشكال الثورة (الاحتجاج العمليات العسكرية ... إلخ)، كما سلطت الضوء على الوجه الحقيقي للاستعمار الفرنسي وأبرز الكتاب في هذه هم أنفسهم الذين تنبئوا بحدوث ثورة مع دخول كتاب جدد في الخط نفسه، وأبرزهم: «محمد ديب، مولود معمري، كاتب ياسين، مالك حداد، آسيا جبار...»<sup>12</sup>.

وفي تناولنا لموضوع علاقة " الأنا " " بالأخر " والمرجعية التاريخية في الروايات الجزائرية المكتوبة بالفرنسية لا بدّ لنا أن نتحدّث عن مدى سوء العلاقة بين "الأنا" الجزائري و"الأخر" الفرنسي، وحده الصراع القائم بينهما، الأمر الذي يجعل موضوع الثورة تيمة أساسية في معظم الروايات التي تطرقت للعلاقة بين الأنا الجزائري والأخر الفرنسي المستعمر، وهو الإشكالية التي سنوضحها ونحاول الكشف عن مدى تعبيرهاته الروايات عن أحداث الثورة الجزائرية ووقائعها، إذ نجد « مالك حداد في روايته " الانطباع الأخير " ، التي أصدرها سنة 1958 أولى الأعمال المتعلقة بالثورة المسلحة»<sup>13</sup> حيث صوّر فيها الكاتب أجواء الحرب في مدينة الجسور وما يجري فيها من ممارسات فظّة كانت تتعامل بها قوة الشرطة والجيش الفرنسي مع الجزائريين، ولعلّ توظيف الكاتب مدينة قسنطينة مسرحاً رئيسياً

لأحداث روايته» ليعبر من جهة عن جوّ الحرب الذي أصبح يطبع حياة المدينة العريقة، ويؤثر على هدوئها وعلى جمالها الطبيعي، ويعبر من جهة أخرى، عن القطيعة الكاملة والنهائية التي أحدثتها الثورة مع النظام الاستعماري، الذي برهن طوال تاريخه أن لا فائدة ترجى من إبقاء الجسور معه»<sup>14</sup>، وفي روايته الثانية "رصيف الأزهار لم يعد يجب" 1961، التي جاءت محمّلة بأريج الذكريات وأوجاعها انطلاقاً من مربع الذكريات (قسنطينة)، مسقط رأسه حيث هوامد ومدفن آلامه وآماله معاً، هذه المدينة التي مارست ضغطها على الشارع» الرصيف الباريسي لم يعد يجب، يرسم "مالك حداد" جو (قسنطينة) الخريفي منذ البدء فتضطرم مشاعر الطالب (خالد بن طبال) بمختلف الأحاسيس منها أحداث الربيع الدامي برصاص الاستعمار الفرنسي (في 08 ماي 1945)<sup>15</sup>.

في هذه الرواية يلتحم هم الشخصية بالهموم الوطنية والإنسانية حيث تنصهر مشاعر الخبث والخيانة والوفاء في بوتقة واحدة ليتشكّل صدى لمعاناة الحس الوطني على جهات اختلفت توجهاتها لكثرتها التهب نيرانها جميعها روح "خالد بن طبال"، الذي ليس سوى "مالك حداد" نفسه، في انكساراته وأشواقه الواقعية الشفافة في تجربة روائية ذات مضمون وطني إنساني.

أما روايته الثالثة "التلميذ والدرس" "l'élève et la leçon" الصادرة سنة 1960 فقد جاءت كثورة تحرير للضمير الإنساني لتعبّر عن مآسي "الأنا" الجزائري على لسان شاهد لتلك الحقبة من الاحتلال، لغة الرواية كانت قليلة الأصوات، فصوت "الأنا" كان غالباً على صوت "الأخر"، والصراع بينهما (الأنا والأخر) كان في حالة مدّ وجز، كانت تربطهما علاقة تنافر، لم تأخذ هذه العلاقة طريق الانسجام، فتلك "الأنا" لم تكون قادرة على التواصل مع "الأخر" وهذا ما جسده الرواية، "فالأخر" هو (فضيلة ابنة الطبيب إيدر) وحدها من كانت تأخذ وتعطي، ففي الكلام لم تجد أي إجابة على تلك الأسئلة التي طرحتها: "لن أقول لها: "إني أنصت إليك يا ابنتي"، وكذلك في قول آخر: "ولكنني لم أقل شيئاً لم أنبس بنت شفة"، إذن هذا الصراع العقيم جعل هذا "الأخر" لا يعرف وضعه من ذلك الصراع، جعله يعطي فقط ولا يأخذ فدور "الأنا" (الوالد) هنا هو الإنصات فقط ودور "الأخر" (فضيلة) هو الكلام.<sup>16</sup>

فالصراع داخل هذه الرواية غير مستقيم على نحو سؤال من "الأنا" يجد جواباً من "الأخر"، والعكس، بالإضافة إلى أنّ الخطاب ومساره تعلق "بالأنا" التي كانت تعاني الانغلاق والعزلة ممّا أدى إلى انعدام القرار المناسب لمعالجة المشاكل التي وقعت على مرور الزمن داخل "الأنا" (الطبيب إيدر)، فالطبيب وقف حائراً أمام ثورة ابنته.



وتمثل الصراع أيضاً في هذه الرواية حتى آخرها برفض " الأنا " (الأب إيدير) إنزال الجنين، فيوكل المهمة إلى صديقه الطبيب (كوست)، قبل أن يموت لينجح هذا الأخير في المهمة، بمساعدته (الفضيلة) في الاحتفاظ بجنينها وعدم إنزاله والتخلي عنه، وفي آخر الرواية نستنتج أنّ (فضيلة) قد أنجبت الولد، وهذا يتبين لنا في قول والدها: (تعالى أيها الصغير فضيلة في انتظارها)<sup>17</sup>.

وبناءً على ما تقدّم نخلص إلى أنّ الروايات الجزائرية الناطقة باللّغة الفرنسية التي كتبت بعض الاستقلال لم تخرج عن كونها تأخذ من الثورة مرجعية في بناء عالمها الروائي وهذا راجع إلى الآثار السلبية، التي تركها " الآخر " الفرنسي في نفوس الجزائريين بكل فئاتهم وخاصةً في نفوس أدبائنا الذين جسّدوا هذا الموضوع في إبداعاتهم التي أكّدت على الصراع القائم بين " الأنا " الجزائري و"الآخر" الفرنسي، مثلاً: رواية " الأفيون والعصا " لمولود معمري" الصادرة سنة 1965، نفهم من خلال عناوينها، طبيعة السياسات الاستعمارية التي انتهجها الاحتلال الفرنسي (الأخر)، في تسيير شؤون أبناء الجزائر (الأنا)، فكلمة الأفيون تتمثل في: الإخضاع، التضليل، أما كلمة العصا فتتمثل في: القوة، الضرب، التعذيب باعتبار أن ردّ فعل الجزائريين الذي تمثّل في الثورة تجسّد في التعبير عن رفضهم لوجود "الآخر" المستعمر على أرضهم، " فالأنا " في الرواية تجلّت في شخصية "بشير" المثقف الذي عاد من العاصمة والذي كان بعيداً عن وقائع الثورة إلى أن عاد إلى القرية ليلتقي بعائلته ( هذا السبب الضاهر)، أما السبب الخفيّ لعودته هو محاولته الانضمام إلى صفوف جيش التحرير الوطني للجهاد في سبيل الاستقلال أما " الآخر " فقد مثلته عدّة شخصيات فرنسية أهمها: شخصية « " الملازم ديليكيز " Lieutenant Delecluse " الذي كان مسؤولاً عن ثكنة بقرية " تالا " في القبائل الكبرى»<sup>18</sup>، وأيضاً كان فاعلاً مضاداً " لبشير " إذ كان يحاول إقناعه بالمغادرة، لأن " الملازم ديليكيز " يخاف من المثقفين و"بشير" بدوره يحاول الوصول إلى فكرة الانضمام إلى صفوف الثورة التحريرية، وكذلك نذكر شخصية « الملازم الأول " بذرة العنف " " Graine de Violence "، الذي كان معجباً بالاسم الذي أطلق عليه ، رغم أنه لم يكن أكثر عنفاً من غيره»<sup>19</sup> ، فالعنف من صفاته التي تميّزه في تعامله مع الأهالي والمجاهدين.

هذه الرواية كانت شكلاً من الأشكال الروائية الجزائرية التي اعتبرت الثورة كمصدر إلهام وسند تاريخي، ومدونةً لتسجيل الأحداث وتوظيف الوقائع فكانت نموذجاً قد رسم قيماً جمالية ومضامين فنية ملتزمة بقضايا الشعب الجزائري إبان الإحتلال الفرنسي للجزائر.

2\_صورة "الأنا" و"الأخر" وصراع المستعمر: يقتضي الحديث عن "الأنا" و"الأخر" محاولة اكتشاف العلاقة التي تربطهما سواء كانت: سياسية، اجتماعية أم ثقافية... إلخ، التي وجدنا أنها لا تخرج عن دائرة الصراع الدائم، فالصراع القائم بين هذين الطرفين (الأنا والأخر) صراع طويل يدخل ضمن العلاقات الإنسانية المعقدة التي جمعت بينهما أثناء فترة حرجة من تاريخ الجزائر، وهذا ما لمسناه في مسار بحثنا، فالتقاء "الأنا" بـ"الأخر" سرديا ضمن المتن الروائي الجزائري المكتوب بالفرنسية جعلهما لا يخرجان عن إطار علاقة المستعمر بالمستعمر.

إنّ المتأمل لمضامين معظم الروايات الجزائرية المكتوبة بالفرنسية التي تناولت "الأخر" الفرنسي، يلاحظ مدى تركيزها على الصراع بين "الأنا" المستعمر و"الأخر" المستعمر وهي حقيقة تاريخية أوجدها ذلك الاحتقان العدائي للأخر الفرنسي، بسبب تسلطه وهمجيته.<sup>20</sup>

من هنا نلاحظ أنّ "الأنا" الجزائري اكتسى صورة "المستعمر"، و"الأخر" الفرنسي تجسّد في صفة "المستعمر"، وهذا نظرا للعلاقة التي تربطهما فهي علاقة استعمارية، فجّل الأعمال الروائية توظّف "الأخر" الفرنسي، باعتباره العدو الكولونيالي» فهؤلاء الروائيين قد عاشوا حياة الشعب الجزائري القاسية في ظلّ الاستغلال الاستعماري، لقد خلقهم الشعب الجزائري أو بالأحرى أتهم الشعب الجزائري»<sup>21</sup>، ومن ثمّ فالرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية» تعرض لنا صوّر مختلف النّاس بمختلف اتجاهاتهم الاجتماعية، وهي تمزّق الأفتعة عن وجوده أولئك الذين يمثّلون الطبقات المستغلّة، كما أنّها تكشف بذلك عن وجوه الأبطال الإيجابيين المناضلين»<sup>22</sup>.

فالروايات التي جسّدت لنا صورة "الأنا" و"الأخر" في وجود ثنائية مستعمر/مستعمر، مثلاً: رواية "الدار الكبيرة" "La grande Maisson"، "الحريق" "L'incendie" و"النول" "La soif" لآسيا جبار، "الربوة المنسية" لمولود معمري...، تجسّد لنا علاقة الجزائريين بالاستعمار الفرنسي أثناء فترة احتلاله أيّ انطلاقاً من الاستناد إلى مرجعيّة واقعيّة هي التاريخ الذي جمع الطرفين وجدّد أوجه الصراع المحتدم بينهما.

لقد كشفت هذه الأعمال الروائية حالة البؤس الاجتماعي التي وصل إليها الشعب الجزائري، لا سيما في فترة الحرب الكبرى، التي طحنت معظم فئات الشعب ووصلت بهم إلى حافة الكارثة من الناحية الاقتصادية، كما عبّرت عن وعي جديد، ونفس غير معهود في الكتابة بصوّر الفلاحين

والحرفيين في القرى والأرياف في المدن ويعبّر عن صراهم اليومي مع صعوبة العيش وظلم "الأخر" المتجسد في السلطات واستغلال المستوطنين لجهدهم.<sup>23</sup>

وبناءً على ما سبق نلخص في الأخير إلى أنّ هذه الروايات هي بمثابة مرآة تعكس الصورة الحقيقية " للأخر " الفرنسي بالنسبة " للأنا " الجزائري من منظور تاريخي على الأقل، كما أنّها تصوّر الأوضاع المزرية التي آل إليها الشعب الجزائري، التي استند إليها الروائيون في نقل صورة عن العلاقة بين " الأنا " الجزائري و" الأخر " الفرنسي.

#### الخاتمة:

لقد طرح حضور " الأنا " و" الأخر " في النصوص الروائية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية الكثير من القضايا المتعلقة بالهوية والانتماء والصراع من أجل تأكيد الذات من خلال المرور عبر جسر " الأخر " ، وهو ما لمسناه بوضوح من خلال محاولتنا دراسة صورة " الأخر " و" الأنا " في الرواية الجزائرية.

1- نقلت لنا الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية معاناة الشعب الجزائري خاصة بعد أحداث 08 ماي 1945، التي جعلتها تغيّر في استراتيجية الكتابة باعتبارها وسيلة هدنة وتفاهم إلى وسيلة كفاح وإعادة الاعتبار للذات بعدما كانت مهمّشة.

2- اتخذت الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية موضوع الثورة كمرجعية تاريخية أساسية انطلقت منها لبناء نصّها السردى لذلك وُصِف هذا الأدب بأدب المقاومة.

3- قدّمت لنا الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية صورة عن " الأنا " الجزائري المتمسك بهويته ووطنه رغم الاضطهاد الذي مارسه عليه " الأخر " الفرنسي الذي حرّمه من كل حقوقه.

4- شكّل اللقاء مع " الأخر " الفرنسي أثناء فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر أزمةً للذات الجزائرية، ممّا جعلها تُراجع مواقفها فيما يخصّ العلاقة معه، وهذا ما لمسناه في التحوّل الذي طرأ على النصوص الروائية المكتوبة بالفرنسية من الدعوة إلى الاندماج الذي تبوّى موقف رفض " الأخر " الفرنسي وضرورة الثورة ضدّه انتصاراً للهوية والانتماء الوطني.

## الهوامش والاحالات:

- <sup>1</sup> غالي شكري، أدب المقاومة، دار المعارف، (د ط)، مصر، (د ت)، ص144.
- <sup>2</sup> أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته وتطوره وقضاياها، ديوان المطبوعات الجامعية، (د ط)، 2007 ص266.
- <sup>3</sup> أحمد منور، أزمة الهوية في الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية، دار الساحل، (د ط)، الجزائر، (د ت)، ص100.
- <sup>4</sup> أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب، ط5، الجزائر، 2007، ص98.
- <sup>5</sup> ثلاثية محمد ديب، (دار الكبيرة، الحريق، النول)، تر: سامي الدروبي، دار الوحدة للطباعة والنشر، (د ط)، بيروت - لبنان، 1985، ص01.
- <sup>6</sup> سوسن زاني، الأنا في رواية التلميذ والدرس لمالك حداد، مرجع سابق، ص14.
- <sup>7</sup> إيمان العامري، صورة الثورة التحريرية في الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية (جدلية الهامش والمركز)، مجلة البحوث للدراسات الإنسانية، ع10، الجزائر، 2015، ص188.
- <sup>8</sup> ثلاثية محمد ديب، (الدار الكبيرة، الحريق، النول)، تر: سامي الدروبي، مصدر سابق، ص431.
- <sup>9</sup> المصدر نفسه، ص495.
- <sup>10</sup> نوال بن صالح، الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية وثورة التحرير (صراع اللغة والهوية)، مرجع سابق، ص227.
- <sup>11</sup> محمد طمار، تاريخ الأدب الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، (د ط)، بن عكنون - الجزائر، 2006، ص495.
- <sup>12</sup> أحمد منور، أزمة الهوية في الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية، مرجع سابق، ص446.
- <sup>13</sup> المرجع نفسه، ص453.
- <sup>14</sup> إيمان العامري، صورة الثورة التحريرية في الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية، مرجع سابق، ص185.
- <sup>15</sup> سوسن زاني، الأنا في رواية التلميذ والدرس لمالك حداد، مرجع سابق، ص63.
- <sup>16</sup> سوسن زاني، الأنا في رواية التلميذ والدرس لمالك حداد، المرجع السابق، ص76.77.
- <sup>17</sup> عبد الحميد حنون، صورة الفرنسي في الرواية المغربية، مرجع سابق، ص225.
- <sup>18</sup> المرجع نفسه، ص229.
- <sup>19</sup> وزداني بوداود، تجليات ثورة التحرير الجزائرية في الرواية الجزائرية، ص95.
- <sup>20</sup> [www.ahmothaqf.com/th](http://www.ahmothaqf.com/th)، 08 مارس 2017.
- <sup>21</sup> سعاد محمد خضر، الأدب الجزائري المعاصر، منشورات المكتبة العصرية، (د ط)، بيروت - لبنان، 1967 ص129.
- <sup>22</sup> المرجع نفسه، ص146.
- <sup>23</sup> أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، مرجع سابق، ص268.